جدلية الأنا والآخر في أدب الرحلات
دراسة مقارنة بين تخليص الإبريز لطهطاوي وسفرنامه لميرزاصالح الشيرازي

أ.م.د. عبدالله حسيني[١]
أ.م.د. سيد عدنان اشكورى[٢]
جامعة خوارزمي / كلية الأداب والعلوم الانسانية

الملخص

غالباً ما كانت رحلات الشرقيّين إلى أوربا في القرنين الماضيين بهدف التعرّف على آخر التقنيات الصناعية التي توصّل إليها الغربيّون، ومعرفة ما إن كان بالمقدور جلب شيء منها إلى الشرق أملاً في كسب التطوّر المنشود. ومن خلال نظرة خاطفة إلى ما دوّن في كتابات الرحّالين، نجد أنّ الغالبية العظمى منهم قد انبهروا بالتطوّر الذي أحرزه العالم الغربيّ، ورغم أنّ هذه المقارنات لم تكن لتخلو من الحقيقة إلّا أنّها جاءت مغالية مفرطة وانبهارية إلى حدّ كبير. وقد ظلّ هاجس الأنا الشرقي والآخر الغربي يسيطر على عقلية كثير من الرحّالين، لكنّ عدداً من هؤلاء اتّزنوا في ما أصدروه من أحكام في هذه الجدلية. تسعى هذه الدراسة وبحسب المدرسة السلافية إلى عقد مقارنة بين رفاعة الطهطاوي من مصر، وميرزاصالح الشيرازي من ايران، في كتابيهما *تخليص الإبريز في تلخيص باريز* و*سفرنامه*، مؤكّدة على الجدلية القائمة بين الأنا الشرقية والآخر الغربي. وقد توصّلت الدراسة إلى أنّ كليهما وجد النظام السياسي المستبدّ في الشرق هو السبب الأساس للتخلّف الذي تعيشه البلدان الشرقية، بالإضافة إلى تفشّي الجهل والأميّة والخرافات لدى الشعوب الشرقية. لكنّ الميرزاصالح كان أكثر انبهاراً بالثقافة الأوربية من نظيره رفاعة الطهطاوي، الذي وصف الغرب بسلبياته وإيجابياته، بالإضافة إلى أنّ لغة الخطاب عنده تمتاز برصانتها الأدبية وحصافتها العلمية أكثر منها عند الميرزاصالح.

الكلمات الدليلية: أنا والآخر، أدب الرحلات، الأدب المقارن، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، رفاعة الطهطاوي، سفرنامه ميزا صالح شيرازي

١. عضو هيئة التدريس في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الخوارزمي، طهران، ايران.(الكاتب المسؤول) dr.abd.hoseini@khu.ac.ir
٢ . عضو هيئة التدريس في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة الخوارزمي، طهران، ايران. eshkevari@khu.ac.ir

Confrontation between me and the other in writing of travelogue by Iranian and Egyptian
Comparative examination between travelogue "Takhlis al-Ebriz" of Al-Tahtawi and travelogue of Mirza Saleh Shirazi

Dr. Abdullah Hosseini[١] **Dr. seyed Adnan Eshkevari**[٢]

Abstract

Most of eastern people who have traveled to west, have been fascinated by the progress of the West. For this reason, they have returned from the East and its manifestations and have tried to compare between east and west, in order to finally reach to dominant culture. In spite of the fact that these comparisons come with factual details, to a large extent, show their extreme fascination by the western countries and exaggeration in expressing the Western transformation. This study intends to make a comparative examination between travelogue of Mirza Saleh Shirazi and travelogue 'Takhlis al-Ebriz' of Rifa'a al-Tahtawi from Egypt based on Slavic school and also intends to criticize and compare the dispute between the eastern person and the western one into thought and text of the two travelogues. The results show the both writers believed that the despotic political system, illiteracy and disseminate of ignorance and superstition are the main reason of eastern countries' backwardness. Mirza Saleh is more fascinated to European culture and civilization than Rifa'a al-Tahtawi, but Rafa'a tries to describe the west with its positive and negative features. Rifa'a al-Tahtawi' Language and his literary and scientific descriptions in his travelogue has more firmness and authority than Mirza Saleh Shirazi' literary language.

Key words: the other and me, writing travelogue,Takhlis al-Ebriz in Takhlis al-Bariz , Rifa'a al-Tahtawi, Mirza Saleh Shirazi' travelogue**.**

١. المقدمة

مدخل إلى البحث وضرورته: ولد الإنسان راحلا، وإن أعجزته الرحلة، تخيّل رحلات غير محسوسة في عالم الخيال ونجد ذلك مبثوثا في الأساطير الأولى.(ضيف،١٩٨٧م:٧) بل صار أدب الرحلات واحداً من الأنواع الأدبية منذ فترة ليست بقصيرة في كلّ آداب العالم. إذ يرتبط الاهتمام الحضاري بالغير ببروز دوافع وقيام حاجات حيوية تدعو إلى الاغتراب عن الحضارة الأصلية لاستجلاءحضارة الغير، وجمع البيانات والوثائق

1. **Faculty member of Arabic language and literature of Kharazmi University, Tehran, Iran (author of article)** dr.abd.hoseini@khu.ac.ir
2. **Faculty member of Arabic language and literature of Kharazmi University, Tehran, Iran.** eshkevari@khu.ac.ir

عنها. الحاجة هي التي تدفع بحضارة الغير من ظلام النسيان والإهمال إلى دائرة الوعي. وقصة الاتصال بين الغرب والشرق هي قصة هذه الحاجات والدوافع. فبعد الانتكاسات العسكرية التي مُني بها عالم الشرق الإسلامي في أولى مواجهاته مع الغرب الذي تمكّن من قطع شوط ملحوظ في التقدّم الصناعي بفعل النهضة العلمية، بدأت الحكومات الشرقية بإيفادعدد من النابهين إلى أوربا ليطّلعوا على أسباب التطوّر وآلياته وليلمّوا بما يرونه ضرورياً لبلدانهم، عسى أن يعوّض ذلك عن جانب من التخلّف عند الشرق. وأول شيء شغل هؤلاء الموفدين، هو التعرّف على مكامن الضعف في بلدانهم والبحث عن مفوّقات العالم الجديد وأسبابها. لذلك اصطبغت مذكراتهم التي نشروها فيما بعد بالمقارنات العديدة التي عقدوها بين الأنا الشرقية والآخر الغربي. مقارنات لم تكتف بالقضايا التقنية والصناعية، بل تجاوزتها إلى طبيعة المجتمعات الغربية في اقتصادها واجتماعها وأخلاقياتها وكلّ شؤون الحياة. ورغم أنّهم بذلوا سعيا وافراً لإضفاء الموضوعية والحيادية في أحكامهم، لكنّهم لميتمكّنوا من التخلّص من رواسب الانبهار خاصّة فيما يتعلّق ببعض الخطوط الحمراء في بلدانهم، الأمر الذي جعل أصابع الاتهام بالتفرنج والثورة على القيم والمبادئ والأعراف القومية والدينية تتّجه إليهم. ولعلّ هذا الخلاف بين التطلّع إلى الآخر الغربي والتزمّت الشرقي مازال قائماً في مجتمعاتنا إلى يومنا هذا، ممّا يقتضي أن نتعامل مع دعوات التحرّر على النمط الغربي أو الصمود أمام الظواهر الإفرنجية بشيء من الحيادية والموضوعية العلمية.

على هذا الصعيد يستوقفنا كلّ من الرحّالين المصري رفاعةرافع الطهطاوي(١٨٧٣م) بكتابه *تخليص الإبريز في تلخيص باريز* والإيراني ميرزاصالح الشيرازي(مجهول الوفاة) بكتابه *سفرنامه*. فقد وصف الأول رحلته إلى فرنسا، ووصف الثاني رحلته إلى انكلترا فضلا عن حديثه عن بعض البلدان التي مرّ بها في طريقه إلى لندن. فإنّ وجوه الشبه بين مواقف هذين الرجلين تكاد تكون واضحة، ومن الطبيعي أيضا أن نجد بعض المفارقات في تعاملهما مع الغرب. ممّا يدعونا إلى عقد مقارنة بين الكتابين، من نواحٍ عدّة؛ أهمّها موقف المثقّف المصري والإيراني تجاه الآخر الغربي، ولغة الخطاب في الكتابين، وما خلّفه كلّ من الكتابين من أثر في عقلية المثقّفين من أبناء البلدين، وقضايا أخرى لا يسمح لنا المجال أن نتحدّث عنها جميعها.

خلفية البحث

يتكوّن موضوعنا من محورين مهمّين؛ الأنا والآخر عند الطهطاوي، والأنا والآخر عند ميرزاصالح الشيرازي. أمّا الطهطاوي فكثير مَن كتبوا عنه، لأنّه يعدّ نقطة عطف وانطلاق في النهضة العربية المعاصرة والتي تعزى أحياناً إلى محمد علي باشا، وأحياناً أخرى إلى الحملة الفرنسية على مصر. والحقّ أنّ رفاعة كما ذكروا كان رائد هذه النهضة ومن أقطابها. فلذلك تناولوا آثاره كلّها بالدراسة والتمحيص، وبخاصّة كتابه *تخليص الإبريز في تلخيص باريز* الذي أدرج فيه ملاحظاته عن الآخر الغربي بشيء من الموضوعية وحاول جهد إمكانه ألّا

يقع فريسة الأحكام المسبقة وأن لا يخرج عن الحيادية العلمية. فقدوقف أكثر الكتّاب والنقّاد موقفاً مناصراً للطهطاوي وانفرد بعضهم يعرّض بآرائه ويفنّدانبهاره بالآخر الغربي. وكلا الفريقين مرّ بهذا المبحث بالذات مرور عابر سبيل يتناوله بضمن مواضيع أخرى. ولذلك فإنّ مايهمّنا هنا هو التعرّف على المصادر القريبة جدّا من موضوعنا هذا. ولعلّ أكثر من تناول موضوع الآخر الغربي في تخليص الإبريز هو العلوي رشيد في مقال له نُشر على شبكة الإنترنت تحت عنوان «صورة الآخر في الوعي العربي الحديث» حيث يشير إلى الطهطاوي لعدّة اعتبارات؛ فهو أول من تأمل الغرب في دياره خلال العصر الحديث؛ وطبيعة الصورة التي رسمها عن هذا الغرب، تنم عن رؤية تقدمية تعبّر عن حسه النقدي وعن انفتاح قلّ نظيره مقارنة بالتصورات الكلاسيكية التي تعجّ بها الرحلات في العصور الوسطى وما قبلها؛ ودعوته العرب والمسلمين إلى الانفتاح على الغرب وعلومهم وتحضّرهم لتجاوز واقع التخلف والانحطاط الذي يعيشونه؛ ووعيه المبكر بعمق إشكالية العلاقة بين الأنا والآخر، وقد حاول العلوي أن يضفي على البحث صبغة علمية حيادية جهد إمكانه، لكنّه وعلى أيّة حال لم ينظر إلى الواقع المقارن بين البلدين إيران ومصر. وممّن تناول الموضوع، محمد محمدحسين في كتابه *الإسلام والحضارة الغربية*، حيث يقسوعلى الطهطاوي ويصفه بالمفتون الذي أدرك كثيراً من سلبيات الغرب، «لكنّه لم يستطع أن يدرك الأغوار البعيدة والجوانب المتعدّدة لكلمة الحرية، ولم يستطع أن يدرك أنّ نقل هذه الآراء إلى المجتمع الإسلامي يمكن أن ينتهي به إلى النتيجة نفسِها: نبذِ الدين، وتسفيه رجاله والخروج على حدوده. لم يدرك ذلك ولم يلاحظ إلّا الجانب البرّاق الذي يأخذ نظر المحروم من الحرية، حين تُمارَسُ في مختلف صورها وألوانها، وفي أوسع حدودها. فكان كالجائع المحروم الذي بهرته مائدة حافلة بألوان الأطعمة فيها ما يلائمه وما لايلائمه، ولكنّه لم ينظر إليها إلّا بعين حرمانه، ولم يرها إلا صورة من النعيم الذي يتوق إليه ويشتهيه.»(محمد حسين، ١٩٧٩م/٢٥)

أمّا بالنسبة إلى ميرزاصالح الشيرازي فقد كتبت عنه صفورا برومند، تقول: «على الرغم من عدم معرفتنا الدقيقة بما كان لتقارير ميرزاصالح وأقرانه من أثر على أفكار الشعب الإيراني، إلّا أنّهم حاولوا أن يثيروا انتباه الإيرانيين نحو الفارق الشاسع بين الحضارة الغربية والحضارة الشرقية والإحاطة بأسباب هذا الاختلاف في المستوى.» (برومند، ١٣٨٤ش، ٨٧) من جانبه لم يتمالك الباحث مهدي كلهر نفسه فشنّ حرباً لا هوادة فيها على ميرزاصالح وعزا إليه الانبطاحية التي منيت بها الشريحة المثقفة آنذاك. ثمّ خلص إلى القول:«إنّ الاستسلام الانبهاري للغرب ومفاتنه ومن دون تمحيص لأسباب الرقيّ الحضاري، هو الذي جلب إلينا نزعة التطرّف في مقارعة كلّ ما يمت بصلة إلى الغرب، فمُنينا بذلك بالإفراط والتفريط المنبوذين»(كلهر،١٣٦٩ش،ش١٢٤/٢٠) وقد قام الباحثان حسين ميرزايي وأمين پروين، بدراسة شبه إحصائية لمفردات الانبهار والرفض عند الميرزاصالح، ليخلصا إلى نتيجة أنّه لم يصمد أمام تيار التطوّر

الحضاري العاتي الذي أحرزه الغرب وذلك من خلال تعابير الإعجاب التي صدرت منه بشكل عفويّ وصادق.(ميرزايي وپروين،١٣٨٩ش/١٠٣) ويبقى بعد كلّ تلك الدراسات التي لا تخلو من موضوعية علمية وتحليل حيادي، الجانب المقارن بين الرحالين الإيراني والمصريّ، والذي يكشف عن ملابسات النظرة الشرقية الإسلامية –عربية كانت أو إيرانية– إلى الأنا الشرقية والآخر الغربي. وهو ما حاولت دراستنا هذه أن تضطلع به. بالإضافة إلى عقد مقارنة في لغة الخطاب وأسلوب الإخراج الفني والعلمي للكتابين.

أهداف البحث وعيناته

يرمي البحث إلى التعريف بكتابي التخليص وسفرنامه من خلال المواقف المتبنّاة من الكاتبين تجاه الآخر الغربي، والتعرّف على الجانب الوصفي التصويري الذي اعتمده كلّ من الكتابين في حديثهما عن العالم الجديد، والتعرّف على وجوه المفارقة في مواقفهما، من خلال الحديث عن الظروف التي مرّ بها كلّ منهما في رحلته. لنستجلي في نهاية المطاف وجوه الشبه والاختلاف بين المجتمعين المصري والإيراني في جدلية الأنا الشرقية والآخرالغربي. وقد تمّ اختيار الكتابين المذكورين لكونهما من باكورات الرحلة الشرقية إلى الغرب في القرن التاسع عشر، ولأنّهما من طلائع الانفتاح على الغرب في حقبة زمنية قريبة.

إشكالية البحث

١. ماهي العلاقات المشتركة الفكرية بين طهطاوي وميرزاصالح الشيرازي في رحلتيهما فيما يرتبط بالقضايا الوطنية الشرقية؟
٢. كيف يصوّر كلٌّ من طهطاوي المصري وميرزاصالح الإيراني الآخر الغربي بعد لقائهمابه؟ تصويرا بشعاً؟ أم مغالياً في تطوره؟ أم مضخّماً لمعطياته وأهله؟
٣. ماموقف الكاتبين من الغرب؟ أهو موقف انفعالي أم رافض أم موقف متسامح؟
٤. في أيّ القضايا حاول الكاتبان التنكّر للعادات الشرقية وفي أيّ منها بقيا ملتزمين بالتقاليد والسنن؟
٥. ماهي مظاهر الإبداع الأدبي السرديّ لدى كلٍّ منهما؟

فرضيات البحث

يعتقد الباحثان أنّ العلاقات الفكرية بين طهطاوي والشيرازي تكاد تكون مشتركة وخاصّة في اتخاذ المواقف المناصرة والمناهضة تجاه الآخر الغربي في قضايا السياسة والاجتماع والاقتصاد والأعراف والتقاليد. وأنّهما رغم سردهما الذي نظنّه صادقاً من صميم الواقع لم يسلما من حالات التضخيم للآخر الغربي لما حقّقه من تطوّر علمي مقارنة بالشرق. وأنّهما دعوا بنسب وبأساليب مختلفة إلى التحرّر من العادات الشرقية، والانفتاح على الآخر الغربي. وأخيرا يرى الباحثان أنّ لغة الخطاب عند طهطاوي نظراً لشهرته في عالم الأدب المصري تفوق مثيلتها عند ميرزاصالح الشيرازي لكونه مغموراً في الأوساط الأدبية الإيرانية آنذاك.

منهج البحث

تهتم الدراسات المقارنة بالعلاقات التي تقع بين أدب وطني معين كُتِبَ بلغة قومية معينة وبين أدب أو آداب غريبة عن تلك اللغة. ولاشك أن الأدب المقارن لايصل إلى نتائج إيجابية وموضوعية إلا بعد أبحاث دقيقة تتعلق بالآداب القومية وميزاتها.(طحان،١٩٧٢م:٧و١٠) لقد استفدنا في هذا البحث ممّا يلائمه من مناهج نقد الأدب المقارن وهو منهج المدرسة السلافية في النقد الأدبي المقارن، بكل ما فيه من مكونات وطنية وتنوعات في الفضاءات. فهي تدخل في الجدلية التاريخية وذات نزعة إنسانية وتهتمّ بأبعاد التراث الثقافي الكلّي. وقد لخّص ألكساندرو ديما في الندوة العالمية للأدب المقارن ببوخارست(١٩٧٤م) مواقف المدرسة السلافية بأنّها تهتمّ أولا: بالعلاقات المباشرة بين الآداب، ذات المناخ الوطني بعناصرها المحددة ومشاكل التأثيرات و المصادر. ثانيا: بدراسة الموازنات خارج العلاقات والتأثيرات والمصادر. وثالثا: بدراسة الطوابع الخاصّة لمختلف الآداب كموضوعٍ للمقارنة.(علوش، ١٩٨٧م:١٣٠و١٣٣) وتصبح المقارنة الأسلوبية في الدرس المقارن السلافي علامة على نضج المعالجات والتنظيرات.(المصدرنفسه:١٤٢) وظاهرة التأثير والتأثر كانت ملحوظة مند أقدم نقاد الأدب العالميين حتى نشأ الأدب المقارن و محور دراسته دائما الأدب القومي وصلاته مع الآداب الأخرى وتأثيره وتأثره والخ.(هلال،لاتا:٥و١٤). لم يتأثر الطهطاوي وميرزاصالح ببعضهما في رحلتيهما لكننا نحاول أن نناقش العلاقات المشتركة الذهنية والفكرية الوطنية بالنسبة للشرق بينهما واشتراكات واختلافات مواقفهما بالنسبة للغرب وتطوره آنذاك. والمدرسة السلافية تتناول القضايا الاجتماعية والأيدئولوجية في الأدب خلافا للمدرستين الأميركية والفرنسية اللتين تقتصران على جماليات الأدب وفنياته في أغلب الأحيان.(علوش،١٩٨٧م:١٣٩)

نبذة مختصرة عن قضية الأنا والآخر:

ليست قضية عقد المقارنة بين الأنا والآخر جديدة بل هي قديمة قدم التاريخ، فالشعوب غالبا ما كانت تتطلّع إلى الآخر المتفوّق إن كانت تشعر بالهوان والضعف أمامه، أو تنظر إليه باحتقار إذا ما كان دونها شأناً. إلاّ أنّها استرعت انتباه الدراسات النقدية الحديثة لأنّها كانت من أساسيات الإبداع البشري والمحاكاة الثقافية في القرنين الماضيين، ولقد كانت المهمّة الملقاة على عاتق نقّاد ما بعد الكولونيالية تقتضي بأن يجمعوا في تحليلهم وتفسيرهم بين العناصر المشابهة والعناصر المختلفة، سواء على المستوى الجغرافي أو الأنثروبولجي أو الديموغرافي أو التاريخي أو الثقافي. ولعلّ أهمّ إنجاز يمكن أن تنهض به نظرية ما بعد الكولونيالية هو إلقاء الأضواء الفاحصة على قضية الاختلاف والتميز النوعي فيما بين الشعوب التي استقلّت. (راغب، ٢٠٠٣م: ٥٥٢) وقد عدّت المدرسة ما بعد الكولونيالية قضية الأنا والآخر بضمن التحديق (The Gaze) الذي هو جزء من منظومة مفاهيم مرحلة المرآة، وتكوين الأنا والانحراف المعرفي والآخر والهيمنة البصرية

الرسمية. وتتفاعل في عملية النظر والتحديق إشكاليات النظر عموما: السلبية والإيجابية، الأنا والصورة النرجسية، الأنا والآخر وما يصحب التفاعل من خوف وانحراف معرفي. ومع ذلك يبقى التحديق المكوّن الأساس في قيام الأنا كفرد ويهيّئ لها العبور من خلال اللغة إلى النظام الرمزي والاجتماعي والثقافي، ليس فقط لأنّ اللغة وسيلة الربط الاجتماعي الثقافي وإنما لأن اللغة شكلت مسبقا اللاوعي نفسه أي شكلت مهاد الأنا والآخر. (الرويلي، ٢٠٠٢م: ٩٤)

٢. أدب الرحلات في مصر وايران

الرحلة تعني الانتقال من مكان إلى آخر لتحقيق هدف معين، ماديا كان ذلك الهدف أو معنويا، أما الحركة خلال الرحلة بقطع المسافات فهي السفر.(الصعيدي، ١٩٩٦: ١٥) وقد ورد ذكر الرحلة في القرآن الكريم في قوله تعالى:«لإيلاف قريش، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف»(قريش،١و٢) وأدب الرحلات يدّعي أنه ينقل الحقيقة لا شبهها، وينقل الواقع لا المحتمل. إنه أدب التحقّق، الرواية التي يمكن للقارئ أن يتحقق من شخصياتها، و زمانها، ومكانها، ومدتها وأن يتعرف شخصية بطلها و رفاقه في رحلته. والشهادة للحقيقة والعلم هي مساهمة الرحالة في كتابة التاريخ وتقدم الحضارة وكثيرا ما نجد عند الرحالة العرب المحدثين هذا الهم الذي يحولهم إلى مصلحين اجتماعيين، إلى دعاة تغيير للعادات والنظم الاجتماعية والسياسية.(زيتوني،١٩٩٦م:٢٥٥) ولذلك نلاحظ أن بعض الأدباء المعاصرين العرب وخاصّة المصريين الذين عُرفوا كتّاباً للرواية أوللقصة القصيرة أوللمسرح أوللمقال، قد حصلوا على جوائز الدولة لا بسبب إبداعهم في هذه الفنون الأدبية وإنما لتفوقهم في أدب الرحلات. من هؤلاء الكاتب خيري شبلي الذي حصل على جائزة الدولة عن كتابه"فلاح مصري في بلاد الفرنجة" والكاتب أنيس منصور في كتابه "حول العالم في ٢٠٠"، ومحمود تيمور في "أبوالهول يطير" و فاروق خورشيد في كتاب"في بلاد سندباد" ومحمود السعدني في كتابه"الموكوس في بلاد الفلوس"وحسين فوزي في كتاب "سندباد إلى الغرب"وإن الذي يقرأ هذه الكتابات الحديثة والمعاصرة التي جاءت بعد رفاعة الطهطاوي وخيرالدين التونسي وأحمد فارس الشدياق وطه حسين وتوفيق الحكيم سوف يلاحظ تطور وانتشار هذا اللون من الكتابة النثرية في الأدب العربي الحديث.(النساج،١٩٨٤م:١٤و١٥) أمّا الرحالة المحدثون فقد قصدوا أوروبا بغية الكشف عن سر تقدمها، والتدبر في أمر ما يمكن أخذه عنها بما يساعد الأمة الإسلامية على النهوض من كبوتها والاستيقاظ من غفوتها الطويلة بهدف مواكبة العصر الحديث بعد حملة نابليون على مصر عام ١٧٧٩م.(فهيم،١٩٨٩م:٩٥) أما القيمة الأدبية في الرحلات فتتجلى في ما تعرض فيه موادها من أساليب ترتفع بها إلى عالم الأدب، وترقى بها إلى مستوى الخيال الفني. وبرغم ما يتسم به أدب الرحلات من تنوع في الأسلوب من السرد القصصي إلى الحوار إلى الوصف وغيره فإن أبرز مايميزه أسلوب الكتابَة القصصي المعتمد على السرد

المشوق، بما يقدمه من متعة ذهنية كبرى» (حسين،١٩٨٣م:٨و٩) ويمتاز أسلوب الرحلات عامّة بالتسجيل والوصف الإنشائي التعبيري ويعتمد على الملاحظة الدقيقة المباشرة أو على الخيال حتى يكون الوصف للطبيعة أوالكون. والواقع أنّ هذا الفنّ موغل في القدم عرفته قبل العرب أمم أخرى ثم جاء الرحّالة العرب الذين جابوا الآفاق واشتهر كثير منهم مثل ابن جبير، وابن بطوطة، والإدرسي والعبدري والعياشي والخ.(فاتح،٢٠١٢م:٨) أمّا الأدب الفارسي فقد شاع فيه تسجيل وقائع السفر والمشاهدات والاستماعات خلال الرحلة منذ زمن قديم كما في سفرنامه ناصر خسرو القبادياني، ولكن كتابة الرحلات بمعناها الجديد –من الشرق إلى الغرب– فقد بدأت من أوائل العصر القاجاري(ياحقي، ١٣٩١ش:٣٢٨) في عهد فتحعلي شاه حيث بعث وصيُه عباس ميرزا بعض الموفدين للاطلاع على كتابات الرحالة الغربيين وأهميتها، ومالها من دور مؤثر في رسم سياسات الغرب تجاه الشرق فبدأووا بتأليف، وتدوين تقاريرهم السياسية والاجتماعية، وكان أول تقرير مكتوب أثر في المد التنويري في الفكر الإيراني كتاب"حيرت نامه" لميرزا ابوالحسن خان الشيرازي ثم تلاه رضا قلي خان هدايت بكتاب سفارت نامه خوارزم وفاقه في تنمية الجهاز الدبلوماسي الإيراني إلى حد كبير.(پناهى،١٣٨٧ش:٨١) ولعلّ ايران أول بلد شرقي أرسل البعثات العلمية إلى الغرب، حوالي ٢٧ سنة قبل إرسالها من قبل مصر و٥ سنوات قبل إرسالها من اليابان، وذلك للاطلاع على الحضارة الغربية وعلومها وفنونها الجديدة(مرادي‌نژادوپژوم‌شريعتي،١٣٥٣ش:٩٠)

٣. بطاقة تعريف ميرزاصالح شيرازي

هو ميرزا محمد صالح ابن الحاج باقر الكازروني الشيرازي.(محبوبي اردكاني،١٣٧٠ش،ج١: ١٧٦) وكازرون هذه تعدّ من أعمال محافظة فارس وتبعد عن شيراز حوالي مائة كيلومتر. لم تذكر المصادر التاريخية أيّ شيء عن مولده ووفاته ولا عن هجرته من مسقط رأسه كازرون إلى أذربايجان.(حائري، ١٣٧٢ش: ٣١٢)كلّ ما في الأمر أنّ والده الحاج باقر الكازروني كان أحد القادة في الوحدات العسكرية التي كان يترأسها عباس ميرزا (١٨٢٩–١٧٨٢م) نائب السلطنة وولي العهد في العهد القاجاريّ. وقد انخرط ميرزاصالح كأبيه في خدمة ولي العهد، ويبدو أنّه كان يجيد شيئاً من اللغة الإنجليزية فعهد إليه عباس ميرزا مرافقة الضباط الإنجليز الوافدين إلى ايران لتدريب العساكر الإيرانيين.(نوايي، ١٣٦٩ش، ج٢: ٢٥٩) ثمّ رافق الكولونيل دارسي إلى قراچه داغ في مهمته لاستخراج الحديد.(بهار، ١٣٦٩ش،ج٣: ٣٤٠) وقد أوفده عباس ميرزا مع أربعة آخرين ليكوّنوا ثاني بعثة ترسل إلى أوربا لتعلّم الفنون والتقنيات الحديثة التي جاءت بها الثورة الصناعية إلى الغرب. ويبدو أنّ النكسة التي تكبّدتها ايران بعد هزيمتها أمام القوات الروسية والتي أسفرت عن معاهدتي تركمانچاي وگلستان، قد جعلت ولي العهد يفكّر بالتعويض عن التخلّف العلمي والصناعي من خلال إعداد معلّمين ومدرّبين ايرانيين يتقنون العلوم الحديثة في الغرب. وكان ميرزاصالح أكبر هؤلاء الخمسة

سنّاً وأكثرهم ثقافة، فعمد إلى تسجيل جميع جزئيات سفره ليستفيد منها أبناء بلده ومن يخلفه في مثل هذه الرحلات العلمية، وأسماها "سفرنامه". وقد استغرقت حوالي أربع سنوات من ١٨١٥ إلى ١٨١٩م.(كريميان، ١٣٧٧ش:٥) وتحدّثنا المصادر عن معارضة بعض المحيطين به ومساعيهم للحيلولة دون رحلته.(برومند، ١٣٨٤ش:٧٠) أمّا هو فيبرّر موقفه الداعي إلى السفر بالقول:«إن لم يداهمني الأجل فسوف أتعلّم وأتحرّى في الأديان وسوف أتعرّف على معالم ديني من خلال البحث والاستقصاء، وسوف أطّلع على شؤون الدهر ثمّ أعود إلى ايران لينتفع بي بعض المسلمين.(شيرازي، ١٣٤٧ش:٤٦) لقد كان ميرزاصالح واحداً من روّاد التجديد في ايران، وقد بذل قصارى جهده لاستجلاب الحداثة إلى بلده، فتعلّم الإنجليزية والفرنسية وأتقن بعض الفنون والعلوم في لندن، ومن أهمّها فنّ الطباعة، فأنشأ أول مطبعة حكومية ايرانية في مدينة تبريز، ثمّ أصدر أول صحيفة بالبلد أسماها «كاغذ أخبار» وهي على ما يبدو تفريس لكلمة «newspaper» الإنجليزية.(ابوالحسني،١٣٩٠ش:٤٤) وقد عرف عنه أنّه رجل مثابر، وذكيّ، متّسم بحب الاستطلاع والتعلّم فبذل قصارى جهده لتعلّم الفنون الغربية الحديثة. وقد امتلأ كتابه «سفرنامه» بأمارات انبهاره الشديد بالتقدّم التقنيّ الذي توصّل إليه الغرب. وكان يرغب بتعريف الإيرانيين بمنجزات الغرب. فهو كثيراً ما يحدّثنا عن ابتكارات الإنجليز والروس واختراعاتهم وحداثاتهم. وقد تناول بالبحث تطورات البريطانيّين في العلم، وفي الشؤون الإدارية وسياسة البلدان وسائر المجالات. الصناعة، والطباعة، وعلم الكيمياء، والنظام البرلماني، وضرورة سيادة القانون، ومنح الناس الحريات، ومساهمة الشعب في تقرير المصير من خلال الانتخابات العامّة، والحدّ من سلطات الملك وصلاحياته، هي بعض الموضوعات التي تطرّق إليها ميرزاصالح وحاول أن يفهّمها أبناء جلدته ومواطنيه.(صوفي نياركي،١٣٨٢ش،ج١٧٣/٢)

٣. ملخص سفرنامه ميرزاصالح شيرازي

يبدو من خلال الوثائق أنّ أول من نشر كتاب "سفرنامه" هو مؤلفه لأنّه وكما ذكرنا كان أول من استجلب ماكنة الطباعة إلى إيران. وذلك في عام ١٨٢٠م، ثمّ نشرت بعض المقتطفات منه في المجلة الشرقية بكولكوتا.(برومند، ١٣٨٤ش:٧٠) لكنّه بقي مغموراً لم ينتشر بين أوساط الناس لعدم تطوّر التوزيع آنذاك. لقد عقد ميرزاصالح كتاب "سفرنامه" في أربعة فصول؛ الفصل الأول وهو فصل قصير في مقدّمات السفر والمهمّة الموكلة إليه وإلى زملائه من قبل عباس ميرزا نائب السلطنة. والفصل الثاني في خروجه من تبريز وسفره نحو بطرزبورغ وإقامته في روسيا وفي سفره نحو انكلترا. وفي الفصل الثالث وهو أطول الفصول تحدّث عن نزوله في انكلترا وإقامته فيها. أمّا الفصل الرابع فقد خصّصه لسرد قصّة عودته من انكلترا إلى تبريز.(شيرازي، ١٣٤٧ش/ ٤٣و٤٨و١٦٢و٣٨٩) أمّا النثر المستخدم في كتابة "سفرنامه" فهو النثر المرسل، إذ حاول ميرزاصالح أن يبتعد كلّ البعد عن التعقيدات البديعية التي كانت رائجة آنذاك في الأدب الفارسي،

والنصّ خالٍ تقريباً من الاستعارات والكنايات والتشبيهات والمجازات الموغلة في التعقيد والصعوبة، هذا فضلا عن الترادف السخيف والسجع المملّ. فصبّ الكاتب جهده على المعاني دون الألفاظ فصار الكتاب بمثابة نصّ بسيط يستهوي قرّاءه بما فيه من معلومات حديثة.(رستگار،١٣٥١ش:٢٣٩) ويبدو أنّ ميرزاصالح نفسه لم يكن يتوقّع لكتابه هذا أن يكون له شأن أدبيّ أو تاريخيّ، ومن هنا فإنّه لم يُعنَ بتنقيح عباراته أو تصحيح بعض الأخطاء الواردة فيه. ومن جانب آخر اشتمل كتابه على شيء غير يسير من التكرار المملّ والإطناب الذي لا مبرّر له.(شهرستاني،١٣٧٨ش:٥٢) وقد دوّن كتابه على شكل يوميّات يؤرخ لكلّ يوم بحسب التاريخ الهجري القمري، إلّا أنّه لم يلتزم هذه الطريقة في كلّ الكتاب، بل دوّن بعض ملاحظاته وبخاصّة في الفصل الثالث بحسب التاريخ الميلادي. هذا بالإضافة إلى أنّه كان يخرج أحياناً عن أسلوب سرد اليوميات والملاحظات، ليخوض في تاريخ المناطق التي كان يمرّ بها بحسب المصادر التي كانت في متناول يده. إذ يبدو أنّه كان كثير المطالعة شغوفاً بمعرفة تاريخ الدول والشعوب. وقد تمكّن ميرزاصالح أن يتبوّأ لنفسه مكانة مرموقة لدى ذوي الأفكار النيّرة من رجال السلطة، لأنّه كان من دعاة الترقّي وتطوير مناهج التعليم وإحلال مؤسّسات المجتمع المدني، وسيادة القانون، وصيانة الحريّات الفردية.(رستگار،١٣٥١ش:٢٤١) يتضمّن كتاب سفرنامه أسماء كثير من القرى والمدن، وبما أنّ إقامته في المدن الكبرى كانت تستغرق أوقاتاً أطول نسبياً فإنّه يزوّدنا بمعلومات وافية عن تلك المدن وشعوبها وحتى الأساطير الرائجة في ثقافتها. من ذلك حديثه عن تاريخ روسية وانكلترا والحكومة العثمانية والجغرافيا السياسية لموسكو وبطرزبورغ ولندن واسطنبول. ويشتمل الكتاب على معلومات دقيقة نسبيا عن المناخ، والفولكلور الشعبي، وأنظمة الحكم، وصادرات البلدان واستيراداتها، وصناعاتها وفنونها، والوضع الصحيّ وظروف الدراسة، والتقاليد وطبائع الشعوب، والظروف الاستراتيجية للجيوش، والبريد والزراعة، والمناجم والمنتجات، والحيوانات، والأنهار. بل يعطينا أحيانا إحصائيات عن عدد الكنائس والمدارس والفنادق والمشافي والمتاحف والمعالم السياحية. كما يصوّر لنا طقوس الأفراح والأتراح وما إلى ذلك من معلومات مفيدة ومسلّية.

٤. بطاقة تعريف رفاعة طهطاوي

ولد رفاعة الطهطاوي في١٥ اكتوبر ١٩٠١ بمدينة طهطا احدى مدن محافظة سوهاج «جنوب صعيد مصر»، ونشأ في أسرة كريمة الأصل شريفة النسب، جاء في الأعلام للزركلي أنه«رفاعة رافع بن بدوي علي الطهطاوي، يتصل نسبه بالحسين السبط، عالم مصري، من أركان نهضة مصر العلمية في العصر الحديث.(الزركلي،٢٠٠٢م،ج٣: ٢٩). عندما بلغ رفاعة السادسة عشرة من عمره التحق بالأزهر في العام 1817 مسلحا بما سبق ان تعلمه على يد أخواله، الأمر الذي ساعده على مواصلة الدراسة مع زملائه الذين سبقوه في الالتحاق بالأزهر. وشملت دراسته في الأزهر الحديث والفقه والتصوف والتفسير والنحو والصرف

وغير ذلك.(المعوش، ٢٠١١م: ١٤٢) وقد أرسل مع البعثة التي أرسلها محمد علي إلى فرنسا كإمام للصلاة فعكف على تعلّم الفرنسية ومطالعة كتب التاريخ والجغرافيا وأسهم كثيرا في إرساء قواعد التعليم الحديث في مصر. وكان له شأن في النهضة المصرية وفي المعترك السياسي بعد عودته إلى مصر أعرضنا عن ذكره لعدم سعة المجال.

٥. ملخص تخليص الإبريز في تلخيص باريز لطهطاوي

قيل عن الكتاب إنّه «بلا جدال أهمّ وثيقة إنسانية أدبية في مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وهو أول مؤلَّف عربي في العصر الحديث عن أوروبا.»(نجيب،١٩٧٧م:٤٤) يضمّ التخليص المقدّمة، وقد جاءت في أربعة أبواب: الأول في ذكر الرحلة إلى باريس وأغراضها، والثاني في العلوم والفنون المطلوبة، والثالث في بلاد الإفرنج بعامّة وفرنسا بخاصّة، ولماذا كانت الرحلة إلى فرنسا، والرابع في ذكر رؤساء البعثة إلى باريس. كما قسّم الكتاب إلى ستّ مقالات: الأولى في السفر بحراً إلى مرسيليا وقد تضمّنت أربعة فصول نحجم عن ذكرها، والمقالة الثانية عنوانها "في السفر من مرسيليا إلى باريس، والمقالة الثالثة وهي التي نحن بصددها وتكوّن الجانب الأعظم من الكتاب ففي وصف باريس وحضارتها، حيث تقع في ثلاثة عشر فصلاً:
الفصل الأول في تخطيط باريس الجغرافي وعوائد أهلها. والفصل الثاني في الكلام على أهل باريس. الفصل الثالث في تدبير الدولة الفرنسية، وفيه يترجم الدستور الفرنسي. الفصل الرابع في عادة سكنى أهل باريس، الفصل الخامس في أغذية أهل باريس وفي عاداتهم في المآكل والمشارب، الفصل السادس في ملابس الفرنسيس، الفصل السابع في منتزهات مدينة باريس، الفصل الثامن في سياسة صحة الأبدان بمدينة باريس، الفصل التاسع في الكلام على اعتناء باريس بالعلوم الطبّية، الفصل العاشر في فعل الخير بمدينة باريس، الفصل الحادي عشر في كسب مدينة باريس ومهارتها، الفصل الثاني عشر في دين أهل باريس والفصل الثالث عشر في ذكر تقدّم أهل باريس في العلوم والفنون والصنائع. أمّا المقالة الرابعة ففي أحوال البعثة المصرية إلى باريس، والمقالة الخامسة في ثورة ١٨٣٠م وأسبابها وما أحدثته من تطورات في فرنسا، والمقالة السادسة في علوم الفرنسيين ومعارفهم. وقد سميت هذه الرحلة بتخليص الإبريز في تلخيص باريز أو الديوان النفيس بإيوان باريس وقد حاول الطهطاوي في تأليف هذا الكتاب سلوك طريق الإيجاز وارتكاب السهولة في التعبير ومشحون بما لا يحصى من فوائد الفرائد و بما لا يستقصى من جزائل الخراد اي الشعر.(طهطاوي،٢٠١٢م:١١و١٢)

٧. مقارنة جدلية الأنا والآخر بين تخليص الإبريز وسفرنامه شيرازي

٧,١. وجوه اشتراك

٧,١,١.الآخر الغربي وفضله على الأنا الشرقي

لقد تأثر ميرزا صالح الشيرازي بتطور المدينة الغربية ولكنه في الوقت نفسه كان ملتزما بتقاليده ووطنيته ويطغى على كتابه الانبهار الشديد بالغرب عامّة والإنجليز خاصّة. وفي كلّ مرّة يتحدّث عن إيجابيات الغرب يذكّر أنّ الشعوب الغربية إنّما تدين في تطوّرها إلى سيادة القانون الذي ليس بمقدور أحدهم أن يتخطّاه مهما أوتي من قوة وجاه: «إنّ الأمير ريجنت ملك هذه المدينة الحقيقي، قد شيّد زقاقا باسمه في أكسفورد استريت. وثمة رجل فقير في هذا الزقاق يمتهن الصناعة ويمتلك دكاناً متواضعا، وهاقد مضى أكثر من ستة أشهر وهم يحاولون إلحاق دكانه بالزقاق إلاّ أنّه يمتنع ويماطل. وليس بمقدور كلّ الجيش أن يسلبوه حقّه ويغتصبوا دكانه»(شيرازي،١٣٤٧ش:٢٠٧) ويشيد بالإنجليز في إدارة البلاد:«وفي العالم لا تجد حكومة مثل الإنكليز في قواعد الإدارة ونظامها والالتزام بتنفيذ هذه القوانين، فمن الواضح أنهم تعبوا كثيرا وجربوا المشاكل الكثيرة حتى وصلوا إلى هذا الحد من النظام في القوانين الحكومية والالتزام بتنفيذها في بلادهم.»(المصدر السابق:٣١٩) هذا الموقف شديد الوضوح عند الطهطاوي أيضاً وكلاهما معجب بسيادة القانون، والعدل الغربي، والتزام رجال السلطة بالقوانين الرسمية للبلاد:«ملك فرنسا ليس مطلق التصرف، وأن السياسة الفرنساوية هي قانون مقيد بحيث إن الحاكم هو الملك بشرط أن يعمل بما هو مذكور في القوانين، وديوان رسل العمالات يحامي عن الرعية والقانون الذي يمشي عليه الفرنساوية الآن ويتخذونه أساسا لسياساتهم»(طهطاوي،٢٠١٢م:١٠٥) وقد نعذر ميرزاصالح على انبهاره الشديد بالغرب، لو قارنا مدى التخلّف الذي كان عليه بلده آنذاك بما لاحظه من أمارات التطوّر في الغرب. فهو يحدّثنا عن مدى نظافة الغربيّين عند تناولهم للطعام: «إنّني لأشعر باللذة التامّة عندما آكل طعامي معهم»(شيرازي،١٣٤٧ش:٣٣٩) ويقول: «لا تجد أيّاً من رجالهم أو نسائهم يرتدي ملابس متّسخة.»(المصدر السابق:٣٠٤) وهكذا بالنسبة للفارق بين حمّامات الغرب وحمّامات بلده ونظافة حدائق الغربيّين واهتمام رجالهم ونسائهم بارتداء الملابس النظيفة.(المصدر السابق:١٦٥و٣٠٤) أمّا طهطاوي فإنّه يصف هذه النظافة بشيء من الاعتدال قائلاً:«والحمامات في باريس متنوعة وفي الحقيقة هي أنظف من حمامات مصر، غير أن حمامات مصر أنفع منها وأتقن وأحسن. ومع ما عند الفرنساوية من النظافة الغربية بالنسبة لبلادنا، فإنهم لا يعدون أنفسهم من الأمم كثيرة الاعتناء بالنظافة.»(طهطاوي،٢٠١٢م:١٤١و٤٧)

ويشيد ميرزا صالح بالنظام التعليمي المتطوّر ومناهج المدارس عندهم بالتفصيل، ويقارنه بنظام التدريس المتبجّح لدى الكتاتيب في ايران ويقول: «هناك أربعة آلاف وخمسون كتّاباً في لندن تستقبل أبناء الأغنياء والفقراء معاً. وقد خصّصوا بعض المدارس بذوي العاهات ليؤهّلوهم لمواجهة المجتمع ولا يصابوا بالانحراف

والزيغ»(شيرازي،١٣٤٧ش:٢٩٩) وقد أعجب الرجل بزوال النظام الطبقي في أروقة المدارس والمعاهد العلمية. وكثيرا ما تطرّق إلى المستشفيات ومراكز العلاج لديهم وما يلقاه المريض من رعاية طبية فائقة. وحينما يعقد رفاعة مقارنة بين علوم الشرق والغرب ويحاول أن يحتفظ للشرق بعلومه الإنسانيةالتي يفوق فيها الغرب، يذعن في نهاية المطاف قائلاً:«فإذا نظرت بين الحقيقة رأيت سائر هذه العلوم المعروفة معرفة تامّة لهؤلاء الإفرنج، ناقصة أو مجهولة بالكلّية عندنا، ومن جهل شيئاً فهو مفتقر لمن أتقن ذلك الشيء.»(طهطاوي،٢٠١٢م:٢٠) وقد عقد فصلين كاملين في عناية الفرنسيين بصحة الأبدان واهتمامهم بالعلوم الطبية.

٧,١,٢. الانتماء الوطني والفكري بين الشيرازي والطهطاوي

يبدو لنا من خلال متابعة الكتابين أنّ الحسّ القومي والوطني والديني عند رفاعة كان أعظم منه عند الشيرازي، إذ كثيرا ما يحتفظ للشرق وبخاصة لمصر بسماتها التي يراها تفوق تلك التي يحملها الغرب. فحبّ الوطن مقيم في قلبه وهذا واضح من منهجه الذي اتبعه في المقارنةبين كثير من مشاهداته في أحوال باريس، وبين أحوال القاهرة وهو يفضل وطنه على كل ما سواه.(حسين،١٩٨٣م:٧٧) انظر مثلا قوله:«فلولا نجامة أهل باريس وحكمتهم وبراعتهم، وحسن تدبيرهم، واعتنائهم بتعهد مصالح بلادهم،لكانت مدينتهم كلاشيء...فلو تعهدت مصر وتوفرت فيها أدوات العمران، لكانت سلطان المدن ورئيسة بلاد الدنيا.»(طهطاوي،٢٠١٢م:٧٦) أمّا الشيرازي فإنّه كان غالباً ما ينفّس عن التخلّف الذي منيت به بلاده بوصف إيجابيات الغرب وحسب، دون أن يشير إلى ما يقابله من سلبيات في ايران. وكأنّه لا يريد أو لعلّه يخشى مغبة التعريض بالشرق لأنّه وعلى كلّ حال يتقاضى تكاليف سفره من الحكومة. فالانتماء الوطنيّ عنده إمّا معدوم وإمّا ضعيف. هذا وتحدّثنا بعض المصادر عن انتماء ميرزاصالح إلى الماسونية العالمية وعن مساعيه في التأسيس لهذه الحركة في ايران إلّا أنّه كان لديه شيء من الالتزام الديني التطلّع نحو الحرية ممّا جعل الإنكليز يتنكّرون له فلم يَرْقَ إلى المناصب العليا بعد عودته إلى بلده.(ساسان‌پور،١٣٨٤ش:٨٦) ويبدو كذلك أنّه كان متقيّداً بزيّه الإيراني رغم ما واجهه من صعاب في الحفاظ على هذا الزيّ حيث كان مثارا للسخرية والاستهزاء.(شيرازي،١٣٤٧ش:٣٨١) ولاندري إن كان هذا الالتزام ناشئاً من القوانين الصارمة التي فرضها عباس ميرزا أم من التزامه وانتمائه بوطنه. ومن مظاهر شدّة الانتماء عند رفاعة أنّه كثيرا ما يفخر بمآثر بلده ويعزف على وتر حبّه له:«هذه ديار كفر وعناد وبعيدة عنّا غاية الابتعاد وكثيرة المصاريف وغلو الأسعار.»(طهطاوي، ٢٠١٢م:١٣) ولا يفتأ ينشد المقطوعات الشعرية في مصر:

يـا بعيـد الـدار عـن وطنـه مفـردا يبكـي علـى شـجنه
كلمـا جـد الرحيـل بـه زادت الأسـقام فـي بدنـه

(طهطاوي،٢٠١٢م:٢٩)

وفي بعض الأحيان لا يتحدّث عن مظاهر العدل والإنصاف في فرنسا إلّا بعد أن يحدّثنا عن هذه المفاهيم في تاريخ الشرق. وكأنّه يجمع المفهوم الإسلامي والكلمة الفرنسية في تعريفه للحرية.(المصدر السابق،٧٣و٧٤و٨٠، وقرني،١٩٨٠م:٣٣) ويعتقد شحادة الخوري أنه: «تعمَّقَ حب رفاعة لوطنه مصر وأمته العربية واعتزازه بما قدمت للبشرية من مستنبطات الفكر والحضارة.(الخوري،١٨٧٣م:١٤)

وعلينا ألّا نبخس ميرزاصالح حقّه من حبّ الوطن، فإنّ كتابه لم يخلُ من أمارات الشوق والحنين إلى بلده، لكنّه وبحسب ما سنذكر لم يؤت سعة من العلم والدراسة الدينية في بلده ليبدي مدى انتمائه للوطن. فهو يرى نفسه في مهمّة كُلّف بها لا تسمح له أن يخرج كتابه على نمط رفاعة. إذ يذكر في كتابه وعلى الرغم من الاستشهاد الشحيح بأبيات من الشعر الفارسي، أنّه أذعن لنصيحة القائم مقام الذي اعتبر الشعر ضربا من اللغو فأعرض عن الشعر وإنشاده.(شيرازي،١٣٤٧ش:١٧٣) ويفنّد رأيَ ميرزا صالح أن القائم مقام الفراهاني كان واحداً من كبار شعراء عصره، وأنّه لم يفنّد الشعر بل استسخف الذين انصرفوا إلى الشعر من نوعه الماجن ولم يهتمّوا بتثقيف أنفسهم. وهذا ما حمل ميرزاصالح على الانصراف إلى مهمّته وحسب. من جانب آخر كانت له مواقف مقاوِمة تجاه الانخراط في مجالس الترف واللهو والطرب التي كان يجد نفسه مقحما على حضورها فسرعان ماكان يغادرها خشية الانحطاط.(المصدرنفسه:٢٤٣)

٧,١,٣. موقف الكاتبين من سلبيات الغرب

رغم ما رأينا من انبهار ميرزا صالح إلّا أنّه كان أكثر اعتدالاً من الذين سبقوه ومن تلوه من الرحّالة من أمثال عبداللطيف شوشتري، وميرزا ابوالحسن ايلچي ولم تَفُتْه سلبيات الآخر الغربي. ومن ذلك أنّ النساء في انكلترا لم يكن بمقدورهنّ المساهمة في عملية الاقتراع فما بالك بالترشّح للمجلس النيابي (شيرازي،١٣٤٧ش:٣٢٢) وهذا الموقف أثار استحسان كلهر الذي انتقد ميرزاصالح في كلّ صغيرة وكبيرة، فوصفه بالذكاء وعدم السذاجة.(كلهر،١٣٦٩ش:١٥١) وفي موقف يكاد يكون مشابهاً ينتقد رفاعة تأليفة البرلمان الفرنسي:«هذا الديوان مؤلّف من عدة رجال ينصبهم أهالي العمالات وعددهم أربعمائة وثمانية وعشرون رسولا، ولا يقبل إلا من يكون سنه أربعين سنة ولا بد أن يكون لكل واحد منهم عقارات تبلغ فردتها [أي ضريبتها] ألف فرنك كل سنة، والغالب على أهل هذا الديوان كونهم من أقارب الملك، ووزرائه»(طهطاوي،٢٠١٢م:١٠٤) ولفت هذا الموضوع انتباه ميرزا صالح أيضا، فقال: «فقط أصحاب الممتلكات، والعقارات، الذين يعيشون في المدن، ويسمون بفِري مَن، يستطيعون أن يصبحوا أعضاء البرلمان، والقرويون لا يمكنهم أن يرشّحوا أنفسهم إلاّ كمستشارين لهؤلاء.»(شيرازي،١٣٤٧ش:٣٢٢) وهذا يشير إلى أن نظامهم، نظام رأسمالي، ولا يهتم بالطبقات القروية، والفقراء، والمساكين في المناصب الحكومية. ومن مآخذ رفاعة على الغرب تظاهر الناس بالديانة

لكنّهم ضدّ الكنيسة، إذ يقول عن الفرنسيين:«إن الفرنساوية على الإطلاق ليس لهم من دين النصرانية غير الاسم، فهم يدخلون في الكتابيّين، فلا يعتنون بما حرّمه دينهم، أو أوجبه، أو نحو ذلك؛ ففي أيام الصيام في باريس لا ينقطع أكل اللحم في سائر البيوت، إلّا ما ندر»(طهطاوي،٢٠١٢م:١٧٣) أمّا ميرزاصالح فقد انتقد ديانة الملك هنري الثامن(١٥٠٩) الذي تزوّج بسبع نساء فكان يدبّر لكلّ منهنّ المكائد ليطلقها أو يقتلها ليحلّ له الزواج بأخرى بحسب تعاليم المسيحية.(شيرازي،١٣٤٧ش:٢٤٨) وفي موضع آخر ينتقد أساقفة الكنيسة بشكل صريح فيما عبّر عنه بالتناقض:«رغم أنّ اعتقاداتهم لاتستحق الكتابة إلّا أنّه يمكن القول باختصار أنّ ما وضعه القساوسة من أسس واهية وقصص كاذبة لخداع الناس لم يكونوا هم ليلتزموا به، اللهم بلى، فقد كانوا يمسحون جباههم بالصلبان ليستهووا السذّج من الناس.»(المصدر السابق:٦٦) وقد قرّر ميرزاصالح أن يتحرّى عقائد هؤلاء ليخرج بنتيجة «انّ هذا النمط من العبادة –من وجهة نظري– لا يختلف إطلاقاً عن الوثنية. فالوثنيّون يسجدون للأوثان في المعابد، وهؤلاء يسجدون في الكنيسة للصور والأشكال المختلفة، بينما أيّ من هذه المظاهر لا يتّفق مع الحقيقة... إن لم أُسَمِّ هذا شركاً فما هو الشرك إذاً؟»(المصدر السابق:٦٧و٨٢) وممّا تطرّق له الكاتبان قضية المرأة ومنحها من الحريّة ما يتنافى والحشمة الاجتماعية:«ومن خصالهم الردئية قلة عفاف كثير من نسائهم وعدم غيرة رجالهم فيما يكون عند الإسلام من الغيرة بمثل المصاحبة والملاعبة والمسايرة...كيف والزنا عندهم من العيوب والرذائل لا من الذنوب الأوائل»(طهطاوي،٢٠١٢م:٨٨) ويسرد لنا ميرزاصالح موقف الإنجليز تجاه امرأة شبه عاهرة وتفضيلهم إياها عليه فيصفهم بأنّهم عبيد النساء.(شيرازي،١٣٤٧ش:٣٨١) لكنّه في الوقت نفسه ينتقد الامتهان الذي مارسه الساسة بحق نساء الغرب في منعها من الإدلاء برأيها في الانتخابات، فما بالك بالترشّح والولوج إلى مجلس النوّاب. ولو سلّمنا بقوة ملاحظة ميرزاصالح في انتقاده الثاني فإنّنا نرى أنّ التحامل الليبرالي على الكنيسة والمطالبة بحقوق النساء في الاقتراع والترشّح، من أسخن القضايا السياسية والاجتماعية في الغرب آنذاك، فهو لا ينمّ عن قوة الملاحظة لديه. وثمة مأخذ آخر لميرزاصالح على الغرب. فهو يعتقد أنّ الغرب يبني علاقاته على أساس المصالح، وهذا يستدعي أن نتعامل معه بحذر. فلو اقتضت مصالحه أن يتنكّر لأصدقائه أو الواثقين بدعمه وعونه فإنّه لن يتوانى في ذلك وسرعان ما تبدو على سلوكه أمارات الجفاء والغدر. وقصّة هذا التلقّي عند ميرزاصالح تعود إلى أنّ ولي العهد عباس ميرزا كان قد عهد إلى الكولونيل دارسي مسؤولية الإشراف على شؤون الطلبة الموفدين إلى انكلترا، ودفع إليه تكاليف سفرهم. وكان الأخير قد أبدى الاستعداد الكامل لذلك وقدّم إلى عباس ميرزا أغلظ المواثيق والوعود. لكنّه تنكّر للطلاب وضيّق عليهم العيش والدراسة طيلة سنوات الإقامة في انكلترا. ويعزي ميرزاصالح ذلك إلى أنّ انطلاقة الرحلة الطلابية كانت في العهد الذي شعر فيه البريطانيون بالخطر الفرنسي الذي توجّه إليهم من جانب نابليون بونابارت، فكانوا يخشون أن

يستحوذ على عقلية البلاط الإيراني فينافسهم في قارة آسيا. وعندما كان الطلاب الإيرانيون في انكلترا كان نابليون قد تكبّد الخسائر الفادحة في سياساته العدوانية فزال خطره عن انكلترا ممّا جعل البريطانيّين يهملون شؤون الطلبة الإيرانيين ولا يعيرونهم أدنى اهتمام. فوصفهم ميرزاصالح بقوله: «إنّ حكومة الانكليز مصلحيّة (بنت الوقت)، فقد رأت أنّها لم تعد بحاجة إلى حكومة ايران فلِمَ كلّ هذا العناء في العناية بطلابها. وقد أشاعت بأنّنا أناس اتكاليّون لا نبالي بتحصيل العلم. رغم أنّهم لم يتوانوا عن التضييق علينا وعرقلة دراستنا»(المصدر السابق/١٧٣) لكن على كلّ حال فإنّ مواقف ميرزاصالح ورفاعة المنتقدة للغرب تكاد تكون كحلقة في فلاة لو قارنّاها بمواقف الاستلاب أو الانبهار الذي منيا به.

مقارنة الأسلوب بين تخليص الإبريز وسفرنامه ميرزاصالح الشيرازي

هاهنا نحاول أن نلقي نظرة فاحصة إلى أسلوب كلا الكتابين وتقويم بعض الجوانب الفنّية في النثرين، لكن بما يسعفنا به المجال:

١. لقد عمد رفاعة الأزهري المطّلع على فنون الأدب العربي، قديمه وحديثه، إلى تطعيم كتاب التخليص بالشواهد الشعرية والاقتباسات القرآنية والأمثال والحكم والطارف والتليد من جواهر الكلام. «فهو مشحون بفوائد الفرائد بما لا يستقصى»(طهطاوي،٢٠١٢م:١٢) بينما أعرض ميرزاصالح عن كلّ ذلك لأنّه أراد أن يعطينا وثيقة تاريخية لا تمتّ بصلة إلى لآلئ الأدب الفارسي العتيد. وهذا لا يعني أنّه ساق كتابه في إطار نثريّ عارٍ من درر الأمثال والحكم. فلغة عصره تقتضي أن يتمثّل بما يراه مناسباً للمقام من أبيات قصيرة وأمثال مستملحة.

٢. لو قارنّا السرد النثري عند رفاعة بالشائع الرائج من النثر العربيّ في عصره لوجدناه موغلا في التسهيل وتبسيط العبارات، محاولا أن ينأى عن توشيح الكتاب بزخارف البديع، وهذا ما نجده أيضاً عند ميرزاصالح حيث يتسم كتابه بلغة مرسلة مبسّطة مقارنة بالنثر الفارسي الرائج في بداية العصر القاجاري. لكن ورغم ذلك لم يسلم أسلوبه من الإغراب في بعض المصطلحات والمفردات المستعصية كقوله:«بهمين سبب جناب خليفه ميفرمودند كه بعد اُخرى كه ما از دنيا دست برداشته قراباش هستيم.»(شيرازي،١٣٤٧ش:٦١) هذا بالإضافة إلى بعض التكرار المملّ والإيغال في شرح الواضحات والبديهيات، يقول منقّح الكتاب:«ومن نقائص هذا الكتاب أنه يكرر الواضحات ويطنب في كتابة الجمل والتراكيب المتكررة وهذا يجعل القارئ يملّ من النص.»(شهرستاني،١٣٧٨ش:٥٢)

٣. يمتاز كتاب تخليص الإبريز بالإخراج الفنّي الأقرب إلى الروح العلمية من حيث التبويب، وتصنيف الموضوعات والمباحث، بينما يعتمد كتاب سفرنامه على الجانب السردي الحكائي، القائم على تدوين مذكرات السفر بحسب تاريخ الأيام وتسلسل الحوادث.

٤. إنّ ميرزاصالح يأتي بملاحظاته في سياق الوصف والسرد الحكائي عن تفاصيل رحلته ويعرّج في أثنائها على ذكر خلاصات عن تاريخ المدن التي يمرّ بها، وذلك كما أسلفنا في سياق السرد الوصفي والحكائي. بينما ينتهج رفاعة الطهطاوي أسلوباً آخر فهو يسوق الشواهد السردية من مشاهداته وملاحظاته في إطار الموضوع الاجتماعي، أو الجغرافي أو السياسي أو السوسيولوجي الذي يتحدّث عنه، والذي بوّبه على شكل مقالات كما أسلفنا وهذا يشير إلى دقة نظره:«والمقالة قطعة أدبية نثرية قصيرة تلتزم طولا معينا وتمتاز بالقصر وأحادية الجانب والجزئية في اختيار زاوية معينة للمعالجة ولوصغر صغر حجم المقالات وقل جرمها فهي مشحونة بما لا يحصى من فوائد حتى يمكن لكل الناس الورود على حياضه والوفود على رياضه»(المعوش،٢٠١١م:٢١٨ وطهطاوي،٢٠١٢م:١٢)

٥. لا يخلو كتاب سفرنامه –كما بيّن محقّقه ومنقّحه محمّد علي الشهرستاني– من أخطاء لغوية وهنات أدبية، رغم كلّ ما وصفه الآخرون باللغة السردية المعاصرة والبعيدة عن تعقيدات النثر في العصر (شهرستاني، ١٣٧٨: ٥٢) بينما تمتاز ألفاظ طهطاوي بالرصانة اللغوية والأدبية وذلك للفارق الكبير فيما تلقّاه كلّ من الرحّالين من تعليم وتثقيف قبل القيام بالرحلة. أضف إلى ذلك أنّ ميرزاصالح كان رجلا ينتمي إلى العسكر ولم يحدّثنا التاريخ عن تخرّجه من مركز علمي ديني أو جامعة أو معهد علمي، كما هو شأن الأزهر الذي تلقّى فيه رفاعة الجانب الأوفر من تعليمه.

٦. وفي نفس هذا السياق نرى أنّ لغة رفاعة لغة استدلالية تعتمد على سوق البراهين والشواهد لإثبات المدّعى. بينما يحفل كتاب سفرنامه بمواقف لميرزاصالح تنمّ عن النظرة الجازمة الخالية من أيّ استدلال علمي أو موضوعي. خذ مثلا موقفه من التحفيات والملصقات الفنية على جدران الكنائس، إذ سرعان ما يتخذ منها موقف التفنيد التكفيري دون الاستناد إلى الأدلّة.

٧. يصل حجم كتاب سفرنامه إلى حوالي ثلاثة أضعاف كتاب التخليص، ذلك أنّ الخطاب عند ميرزا صالح كان خطابا تقريرياً يتناول جزئيات الواصف الحريص على أن لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا يحصيها، حتى وإن كانت تافهة: «اليوم الثالث من ربيع الثاني؛ ذهبت ثانية إلى قولونل خان وألحفت في مساءلته وبالغت في الإصرار أن يقدّم لي دليلا واحدا على أنّ ذهابي لا يعود بالنفع على حكومة إيران العليا، لكنّه لم يوافق وجعل يهدّدني إنْ ذهبتُ إلى رفاق السفر، فإنّه سيقدّم شكوى ضدّي إلى السلطات الإيرانية. ومن هنا أيقنت أنّه سبق وأن قدّم تقارير ضدّي، هذا فضلا عن التقارير التي قدّمها رفاقي عنّي بحيث بات رجال الحكم يحملون عني فكرة سلبية أنّي رجل أبله وفاسد» (شيرازي، ١٣٤٧ش: ١٧٧) هذا النمط من السرد التقريري لا نجده بتاتاً في كتاب التخليص، فالأخير أشبه ما يكون بكتاب نقد اجتماعي و سياسي، بينما يعدّ كتاب سفرنامه كتاباً تقريرياً محضاً يتناول الجزئيات كلّها.

٨. إنّ الخطاب المعلوماتي الجغرافي عند ميرزا صالح أكثر بكثير ممّا جاء على لسان رفاعة فما من مدينة مرّ بها إلاّ وأعطاك عنها تفصيلا تاريخيا بالإضافة إلى طبيعتها مناخها وما تنتجه من محاصيل زراعية والحيوانات التي تتواجد بكثرة فيها. وهذا ما لا نجده في التخليص. ولذلك فإنّ المعلومات الجغرافية في كتاب سفرنامه غنية لا تقتصر على لندن وانكلترا بل تشمل أكثر من عشرين مدينة وخمس دول مرّ بها في سفره. بينما يقتصر الخطاب عند رفاعة على باريس دون غيرها من المدن والبلدان.

٩. إنّ الخطاب في التخليص هو خطاب الناقد البصير العالم بشؤون الاجتماع والمضطلع بالتحليل الاجتماعي والسياسي. بينما يتوخّى كتاب سفرنامه في تقديم المعلومات دون نقدها وإذا ما شاء الكاتب أن يعطيك وجهة نظره وتعليقه فإنّ ذلك يكاد يكون في خطاب انبهاري يمجّد الغرب وينتقص من الشرق.

٦. أنا الشرقي وجدليته مع الآخر الغربي

كان "تخليص الابريز" أول مؤلَّف عربي حديث يصور لقاء الشرق بالغرب، وقد كتب في وقت كان المجتمع العربي الاسلامي يمثل كتلة واحدة، أو مجموعة متجانسة متماسكة.(العاني،١٩٧٩م:٦) وقد فتح رفاعة آفاق عقله وفكره الوافر الغني على الأفكار والعقائد الجديدة عند الغربيين(M.M.Badawi,1992:417&182). فكان يعتقد أن:«مخالطة الأغراب لاسيما إذا كانوا من أولي الألباب، تجلب للأوطان من المنافع العمومية العجب العجاب.»(ابراهيم،٢٠٠٥م:٢٩١) وكثيرا ما يشير في رحلته إلى صورة أنا الشرقي عندما يذكر حضارة فرنسا لتنبيه الشرقيين وخاصة أبناء مصر على الوصول إلى مستوى الغربيين في مظاهر تطورهم العلمي والفني والحضاري. و«ما باريس وفرنسا سوى المرآة التي تعكس صورة بلاده وتظهرها على حقيقتها، ومن ثم فإن "كتاب رفاعة لم يكن وصفا لأوربا وحدها، أو وصفا لأحوال التقدم الفرنسي على وجه الخصوص، وإنما كان وصفا لأحوال الوطن العربي أو الشرق في الوقت نفسه، ومن ثم وصفا لأحوال التخلف، ولذلك كانت عناصر الحضور في الوصف مقترنة بعناصر الغياب التي كانت تشير دائما إلى الأصل الذي يستعاد إما على سبيل الاستهجان لما فيه بالقياس إلى استحسان ما هو موجود لدى الآخر، أو على سبيل المقارنة المضمرة التي لا تخفي الإعجاب من الآخر.»(العسكري،٢٠٠٥م،ج١: ٣٨) وكثيرة هي المواقف التي نراه يستدرك إعجابه بالغرب المتطوّر بشيء من الأصالة والنبوغ الذي يحمله الشرقيّون لكنّهم لا يتاح لهم ما أتيح للغربيّين. ونراه أحيانا لا يحيد عن عقيدته الدينية، وذلك بتقبيح عقائد الآخر الغربي من منطلق إسلامي:«من بين عقائدهم القبيحة قولهم، إن عقول حكمائهم وطبائعهم أعظم من عقول الأنبياء وأزكى منها»(طهطاوي،٢٠١٢م:103) هذا المنطلق نجده عند ميرزا صالح أيضا حيث يصدر فتواه بتكفير

الغربيّين:«عامّة الناس ينبرون للركوع والتعظيم بمجرد رؤية هذه الصور إنّه لعمري الشرك بنفسه.»(شيرازي،١٣٤٧ش:٨٢)

وقد يتزن ميرزا صالح فلا يجرمنه شنآن قوم على ألا يعدل في حكمه. فلا يكيل بمكيال واحد. إذ نراه في مواقف عديدة يحدّثنا عن الفارق بين الغربيّ البحت متمثلا في الانجليز والغربي الهجين متمثلا بالروس، إذ رآهم يحبّون الأغراب ويكنّون لهم الاحترام بخلاف الإنجليز الذين لا يتوانون عن الاستهزاء بالأغراب كما رأينا. ولقد حرص ميرزا صالح أن لا يضيع فرصة التعلّم في الغرب فعكف على الكتب والمكتبات وتفرّغ لمهمّته وهي صناعة الطباعة والتجليد فلم يدخل في صلب المجتمع الغربي كما ينبغي. ولم يرغب في الانخراط في مجالس القوم فقال:«بيني وبين الله لقد بذلت قصارى جهدي أن لا أحضر مجالس الإنكريز لأنّ الاختلاط بهم يسلبني فرصة التعلّم»(شيرزاي،١٣٤٧ش:٣٨٨)

نتائج توصّل إليها المقال:

١. لم يستطع كلّ من طهطاوي وميرزاصالح من ضبط النفس تجاه تقدّم الغرب وتطوّره، فملأت الحسرة قلبيهما طهطاوي عندما واجها أمارات الحضارة الغربية الجديدة قوية مرتفعة راقية خاصّة عندما قارنا ذلك بما مني به الشرق من ضعف وهوان وهزال. وكان رفاعة يرى أن المسلمين أولى بتلك القوة من بلاد الكفر وأنّهم أولى بالأخذ بأسباب الحضارة. وهذه كانت بداية الصدمة لأن المسار انحرف بعد ذلك. لذلك فإنّ موقفه موقف رفضيّ للغرب في الظاهر وتسامحيّ مبطّن لم يتمكن أن يخفيه وهذا ممكن فهمه عن طريق قراءة عباراته وأسلوبه في الكتاب.

٢. رغم ما شاع بين عامّة المنبهرين بحضارة الغرب في القرنين الماضيين من كتّاب ومفكّرين إلّا أنّ كلّاً من طهطاوي وميرزاصالح لم يثنيا على حرية المرأة الغربية، وهذا مشترك بينهما. لكنّ الذي يميز رفاعة عن ميرزاصالح، أنّ الأول كان يتطلّع إلى النهوض بالأنا الشرقية إلى مستوى الآخر الغربي من خلال الاعتماد على مقوّمات الحضارة والمدنيّة الشرقية –الإسلامية تحديداً– التي من شأنها التكلّف بهذه المهمّة، شريطة أن يتاح لها ما أتيح للحضارة الغربية من مسبّبات الظهور. لذلك فهو لايفتأ يشير إلى هذه المقوّمات أينما ظنّ أنّه أشاد بما للغرب. أمّا ميرزاصالح فلم يكن يتوقّع لكتابه أن يكوّن وثيقة تاريخية اجتماعية ثقافية في هذا المجال نظراً لكونه مغموراً لم يؤت سعة من العلم والأدب في سماء الأدب الفارسي وبين كبار المصلحين في المجتمع الإيراني. ولذلك اكتفى في كثير من الأحيان بالوصف السرديّ دون التحليل النفسي والاجتماعي والسياسي إلّا في مواقف ضئيلة مقارنة برفاعة. ولذلك يبدو لنا أكثر انبهارية من الطهطاوي. وقليلا ما يذكّر بمفاخر بلده وما لحضارته من مقوّمات ومؤهلات للتطوّر.

٣. أمّا بالنسبة لأسلوبية الكاتبين فإنّ طهطاوي كان بفضل ما تلقّاه من أسباب التعليم والتفكّر أوفق من زميله العسكريّ المغمور في انتهاج المنهج التحليلي وكتابة النثر الفنّي المرسل. فأخرج كتابه في ديباجة رائعة وتبويب ممتاز وتصنيف تستسيغه الأذواق، وذلك في توشيحه بالآيات والروايات وفنون الشعر التي كان هو منشدها في كثير من الأحيان، والأمثال والحكم. وقد كان حريصا على تقديم المعلومات الضرورية لقارئه. بخلاف ميرزاصالح الذي آثر أن تكون رحلته سردية حكائية يعرّج خلالها على بعض المعلومات التاريخية والجغرافية، ولهذا فإنّه يمكننا أن نستجلي في كتابه قصّة أو رواية قصصية واقعية يذكر فيها لواعجه وآلامه ومكابداته ومغامراته أحياناً بغثّها وسمينها. كلّ ذلك من دون الاستشهاد بالشعر أو الأمثال وغيرها في عامّة الكتاب. أمّا رفاعة فإنّه إن ذكر قصة رحلته فهي تخلو من المواقف الفردية والتجارب الشخصية أو بثّ لواعج الألم إلّا فيما يرتبط بحنينه إلى الوطن. ثمّ إنّ ميرزاصالح لم يخلُ كتابه من الإطناب المملّ والتكرار الذي لا ضرورة له. مخلص القول أنّه لم يتوقّع لكتابه هذا المآل وإلاّ لعني بتنقيح عباراته وتحلية أسلوبه.

٤. يصور طهطاوي الغرب بقلمه الأدبي القوي ويضخمه في معطياته ولكنه بصورة ضمنية يشير إلى فضل الشرق على الغرب في مظاهر تمدينه وحضارته وثقافته خلال سطور رحلته ويحاول أن يلقي إلى المخاطب المصري أو العربي أنه من الواجب أن يبحث عن أسباب حضارته القديمة في تراثه الغني مستفيداً من حضارة الغربيين خاصة الفرنسيين. أما ميرزاصالح فهو علاوة على مغالاته في تصوير الآخر الغربي وتضخيمه في ذكر معطياته بالنسبة لأنا الشرقي الإيراني، فنادراً ما يحاول أن يرجع المخاطب الإيراني الوطني إلى تراثه القديم المفضل على الغرب كأنه أصبح منذ بداية رحلته مسحورا ومفتونا بكل مظاهر الغربيين وخاصة الانكليز ولا يعطي صورة سلبية عن الغرب إلاّ اللمم.

المصادر و المراجع

١. القرآن الكريم
٢. ابراهيم، عبدالله(٢٠٠٥)، موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.
٣. ابوالحسني، جواد(١٣٩٠)، غرب از ديدگاه ميرزا صالح شيرازي (نخستين روزنامه نگار ايرانى دوره قاجار)، فصلنامه آزما، مرداد ١٣٩٠، شماره ٧٩.
٤. پناهي، عباس(١٣٨٧ش)، اهميت سفارت نامه خوارزم در سنت سفرنامه نويسى عصر قاجار، كتاب ماه تاريخ و جغرافيا، شماره ١٢٨.
٥. برومند، صفورا.(١٣٨٤ش) «انگليس به روايت مسافران ايراني (سه دهه اول سده ١٩م/ نيمه اول سده ١٣ق)». فصلنامه روابط خارجي، شماره٢٢، صص ١٠٠-٦٥.
٦. بهار، محمد تقي.(١٣٦٩ش) سبك شناسي، چ٥، تهران: مؤسسه انتشارات امير كبير.

٧. حائري، عبدالهادي.(١٣٧٢ش) نخستين رويارويهاي انديشه‌گران ايران، چ١، تهران: مؤسسه انتشارات امير كبير.
٨. حسين، حسني محمود(١٩٨٣م)أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، الطبعة الثانية بيروت، لبنان.
٩. حجازي، محمود فهمي، أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي مع النص الكامل لكتابه تخليص الإبريز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤.
١٠. الخوري، شحادة، رفاعة رافع الطهطاوي أحد بناة النهضة العربية الحديثة، مجلة روضة المدارس، العدد السابع، ٢٩ أيار ١٨٧٣، لبنان.
١١. الزركلي، خيرالدين، الأعلام، الجزء الثالث، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م.
١٢. زيتوني، لطيف(١٩٩٦)، السيمولوجيا و أدب الرحلات، مجلة عالم الفكر، المجلد ٢٤، العدد٣، يناير/مارس ١٩٩٦، المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب، الكويت.
١٣. ساسان پور، شهرزاد(١٣٨٤ش) نقد و بررسى كتاب، كتاب ماه تاريخ و جغرافيا، دى وبهمن ١٣٨٤.
١٤. شهرستاني، سيد محمد علي(١٣٧٨ش)«سفرنامه ميرزاصالح شيرازي». مجله گنجينه اسناد، شماره ٣٣و٣٤، صص٥٩-٥١.
١٥. الصعيدي، عبدالحكم عبداللطيف(١٩٩٦)،الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها، مكتبة الدار العربية للكتاب، مصر.
١٦. ضيف، شوقي، الرحلات، دار المعارف، الطبعة الرابعة، القاهرة، مصر، ١٩٨٧م.
١٧. الطهطاوي، رفاعة رافع(٢٠١٢م) تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ط١، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
١٨. طنوس،جان نعوم(٢٠٠٩م)، صورة الغرب في الأدب العربي المعاصر، ط١،دار المنهل اللبناني، بيروت، لبنان.
١٩. علوش، سعيد(١٩٨٧)، مدارس الأدب المقارن، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت،لبنان
٢٠. العسكري، سليمان ابراهيم، الغرب بعيون عربية، الجزء الأول، وزارة الاعلام، الكويت، ٢٠٠٥
٢١. فاتح،صطاف(٢٠١٢)، أثر أدب الرحلة في التعارف بين الحضارات، إشراف:أ.د. مكي عبدالكريم، جامعة تلمسان، رسالة ماستر، جامعة تلمسان، الجزائر
٢٢. طحان، ريمون، الأدب المقارن والأدب العام، دار الكتاب اللبناني، طبعة أولى، بيروت، لبنان، ١٩٧٢م.
٢٣. شجاع مسلم العاني، الرواية العربية والحضارة الأوربية، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٩.
٢٤. شيرازي، ميرزاصالح (١٣٤٧ش) سفرنامه ميرزاصالح شيرازي، به اهتمام و همكاري ومقدمه اسماعيل رائين، تصحيح و دوباره نويسي از [سيد] محمّد [علي] شهرستاني، تهران: انتشارات روزن.
٢٥. فلاح رستگار، گيتي.(١٣٥١ش) «ميرزاصالح شيرازي در سفرنامه». مجله جستارهاي ادبي، شماره٣٠، صص ٢٣٦-٢٥٧.
٢٦. فهيم، حسين محمد.(١٩٨٩م) أدب الرحلات، ط١، الكويت: عالم المعرفة.
٢٧. قرني، عزت، العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة، ط١، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٠م.

٢٨.كلهر، مهدي(١٣٦٩)، بخش فرهنگی و هنری: تصويرها و تأثيرها، نشريه ياد، پاييز ١٣٦٩، شماره ٢٠.
٢٩.كريمي، ابوذر(١٣٩٢ش) «كشف شرق شناسانه خود؛ ملاحظاتي در باب دو سفرنامه‌ي مير عبداللطيف شوشتري، و ميرزاصالح شيرازي». مجله سوره انديشه، شماره ٧٠و ٧١، صص ٢٤٦-٢٣٧.
٣٠.كريميان، علي.(١٣٧٧ش) «ميرزاصالح شيرازي و كاغذ اخبار». مجله گنجينه اسناد، شماره ٢٩و ٣٠، صص٨-٥.
٣١.محبوبي اردكاني، حسين(١٣٧٠ش) تاريخ مؤسسات تمدني جديد در ايران، چ١، تهران: انتشارات وچاپ دانشگاه تهران.
٣٢.محمد حسين، محمد(١٩٧٩م)، الإسلام والحضارة الغربية، بيروت، المكتب الإسلامي، پژوهشی درباره فرستادن دانشجو به خارج در دوره قاجار وپهلوی، مجله مطالعات جامعه شناختی، دوره قديم، شماره ٤، دانشگاه تهران، تابستان ١٣٥٣، صص ٩٠ إلى ١١٥.
٣٣.مرادي نژاد، حسين و پژوم شريعتی، پرويز، پژوهشی درباره فرستادن دانشجو به خارج در دوره قاجار و پهلوی، مجله مطالعات جامعه شناختی، دوره قديم، دانشگاه تهران، شماره ٤، تابستان ١٣٥٣، صص٩٠ إلى ١١٥.
٣٤.المعوش سالم(٢٠١١)، الأدب العربي الحديث نماذج ونصوص، دارالنهضة العربية، بيروت، لبنان.
٣٥.نساج،سيد حامد(١٩٨٤)، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا، مكتبة غريب،مصر.
٣٦.نوايي، عبد الحسين.(١٣٦٩ش) ايران و جهان از قاجاريه تا پايان عهد ناصري، چ١، تهران: مؤسسه نشر هماذر.
٣٧.نجيب، ناجي.(١٩٧٧م) «الرحلة إلى الغرب والرحلة إلى الشرق؛ دراسة مقارنة». مجلة فكر وفن، العدد٣٠، صص٤٤-٧١.
٣٨.هلال، غنيمي(لا تا)، دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر،نهضةَ مصر للطباعة النشر، مصر
٣٩.ياحقي، محمد جعفر(١٣٩١) جويبار لحظه ها؛ جريان های ادبيات معاصر فارسی نظم ونثر، انتشارات جامی چاپ سيزدهم، تهران، ايران
٤٠. Badawi, M.M., Modern Arabic Literature, Cambridge University press, first publication, UK,1992.
٤١.الرويلي، ميجان و سعد البازغي (٢٠٠٢م) دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، ط٣، بيروت.
٤٢.راغب، نبيل (٢٠٠٣م) موسوعة النظريات الأدبية، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.